الآيات ٢٤٣- ٢٤٥

موت الأمم بالجبن والبخل وحياتها بالشّجاعة والإنفاق

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: ذكر الله تعالى في الآيات السّابقة أحكام الأسرة لتنظيم العلاقة بين أفرادها، وبنائها على دعائم وطيدة وأسس ثابتة راسخة، ثمّ ذكر بعدها أحكام الجهاد للدّفاع عن الأمّة وصون مقدّساتها والدّفاع عن عقيدتها، إذ لا صلاح للأسرة إلا بصلاح المجتمع، وذلك للجمع بين الحفاظ على المصلحة الخاصّة والمصلحة العامّة، فيتحقّق التّوازن والتّعادل بين ما يحفظ الجماعة وما يحفظ الفرد والأسرة، بل إنّ صون المصالح الخاصّة لا يتمّ في الحقيقة بدون صيانة المصالح العامّة وحماية الأمّة، والذّود عن حياضها ووجودها أمام أعدائها.

المعنى العام

يخاطب الله تعالى رسوله فيقول: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تنظر يا محمّد، بعين الفكر والاعتبار، ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ وهم ألوف عشرة، أو ثلاثون، أو أربعون، أو سبعون، حذرًا من الموت في زمن الطّاعون. فقد "كَانَتْ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا دَاوِرْدَانُ، قَرِيبٌ مِنْ وَاسِطٍ، فَوَقَعَ فيهم الطاعون، فأقامت طائفة مِنْهُمْ، وَهَرَبَتْ طَائِفَةٌ، فَأُجْلُوا عَنِ الْقَرْيَةِ، وَوَقَعَ الموت فمن أَقَامَ مِنْهُمْ وَأَسْرَعَ فِيهِمْ، وَسَلِمَ الآخَرُونَ الَّذِينَ كَانُوا أُجْلُوا عَنْهَا، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الطَّاعُونُ عَنْهُمْ، رَجَعُوا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ الَّذِينَ بَقُوا: إِخْوَانُنَا هَؤُلَاءِ، كَانُوا أَحْزَمَ مِنَّا، فَلَوْ كُنَّا صَنَعْنَا كَمَا صَنَعُوا، سَلِمْنَا، وَلَئِنْ بَقِينَا حَتَّى يَقَعَ الطَّاعُونُ، لَنَصْنَعَنَّ مِثْلَ صَنِيعِهِمْ. فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنْ قَابِلٍ، وَقَعَ الطَّاعُونُ، فَخَرَجُوا جَمِيعًا- الَّذِينَ كَانُوا أُجْلُوا، وَالَّذِينَ كَانُوا أَقَامُوا- وَهُمْ بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا وَادِيًا فَيْحَاءَ، فَنَزَلُوا فِيهِ وَهُوَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَلَكَيْنِ، مَلَكًا بِأَعْلَى الْوَادِي، وَمَلَكًا بِأَسْفَلِهِ، فَنَادَوْهُمْ أَيْ مُوتُوا، فَمَاتُوا. فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، يُدْعَى: حِزْقِلُ، فَرَأَى تِلْكَ الْعِظَامَ، فَوَقَفَ مُتَعَجِّبًا، لِكَثْرَةِ مَا يَرَى مِنْهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ نَادِ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَجْتَمِعِي، فَاجْتَمَعَتِ الْعِظَامُ مِنْ أَقْصَى الْوَادِي، وَأَدْنَاهُ، فَالْتَزَقَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كُلُّ عَظْمٍ مِنْ جَسَدٍ، الْتَزَقَ بِجَسَدِهِ، فَصَارُوا أَجْسَادًا مِنْ عِظَامٍ، لَيْسَ لَحْمٌ وَلا دَمٌ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أن نَادِ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَكْتَسِي لَحْمًا، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ: أن نَادِ: أَيَّتُهَا الأَجْسَادُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَقُومِي. فبعثوا أحياء."[1]

وقيل: لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم إنّما كانوا مؤتلفين، فخالفت هذه الفرقة فخرجت فرارًا من الموت وابتغاء الحياة بزعمهم، فأماتهم الله في منجاهم بزعمهم، فاللّازم من الآية، أنّ الله تعالى أخبر نبيّه محمّدًا ﷺ إخبارًا في عبارة التّنبيه والتّوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فأماتهم الله تعالى ثمّ أحياهم ليروا، هم وكلّ من خلف من بعدهم، أنّ الإماتة إنّما هي بيد الله تعالى لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغترّ. وجعل

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي مالك، باب: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾، ج٢، ص٤٥٧.

الله هذه الآية مقدّمة بين يديّ أمره المؤمنين من أمّة محمّد ﷺ بالجهاد. وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسمانيّ يوم القيامة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ فيما يريهم من الآيات الباهرة، والحجج القاطعة، والدّلالات الدامغة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم.

وفي هذه القصّة عبرة ودليل على أنّه لن يغني حذر من قدر، وأنّه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإنّ هؤلاء خرجوا فرارًا من الوباء طلبًا لطول الحياة، فعوملوا بنقيض قصدهم، وجاءهم الموت سريعًا في آن واحد. ومن هذا القبيل، ما روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْغَ بَلَغَهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»"[1].

كما أنّ الآية تدلّ على أنّ الفرار من الطّاعون منهي عنه في تلك الشّريعة، كما هو منهي عنه في شرعنا، فقد روي أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَخْبَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ الشَّامِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا السَّقَمَ عُذِّبَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلا تَدْخُلُوهَا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَرَجَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنَ الشَّامِ".[2]

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

وكما أنّ الحذر لا يغني من القدر، كذلك الفرار من الجهاد وتجنّبه لا يقرّب أجلًا ولا يبعده، بل الأجل المحتوم، والرّزق المقسوم مقدّر مقنّن، لا يزاد فيه ولا ينقص منه، ولهذا أمرهم تعالى بالقتال، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقاتلوا الكفّار لإعلاء كلمة الله حتّى يكون الدّين كلّه لله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ودعائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم وإخلاصكم، فيجازي المخلصين، ويحرم المخلّطين.

يحثّ تعالى عباده على الإنفاق في سبيل الله، فيقول: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من هذا الذي يعامل الله تعالى بأن يتصدّق على عباده صدقة حسنة بنيّة خالصة، وقيل ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ هو النّفقة في سبيل الله والدّفاع عن دين الله، أو النّفقة على العيال، وقيل: هو التّسبيح والتّقديس. وقد كرّر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع، وجاء في الحديث عن رَسُول الله ﷺ، قال: «يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظَلُومٍ»[3] فأنفقوا ولا تبالوا، فالله هو الرّزاق ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ﴾ فيكثرها تعالى له من سبعمائة إلى ما لا نهاية له، ولا يحمله خوف الفقر على ترك الصّدقة، فإنّه تعالى ﴿يَقْبِضُ﴾ الرّزق عمّن يشاء ولو قلّ إعطاؤه ﴿وَيَبْسُطُ﴾ الرّزق على من يشاء ولو كثر إعطاؤه، بل يقبض على من قبض يده شحًّا وبخلًا، ويبسط على من بسط يده عطاءً وبذلًا، وله تعالى الحكمة البالغة في ذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم: ٥٧٣٠، كتاب: الطبّ، باب: ما يذكر في الطاعون.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم: ١٦٧٨، مسند: باقي العشرة المبشّرين بالجنّة، مسند: عبد الرحمن بن عوف الزهريّ رضي الله عنه، الحديث إسناده صحيح.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٧٥٨، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.

جاء في الحديث القدسيّ: ﴿قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ﴾[1]. وقَالَ ﷺ: ﴿أَنْفِقْ يَا بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا﴾[2].

ونسبة القرض إليه تعالى ترغيب وتقريب للإفهام، كما قال في الحديث القدسيّ: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي﴾[3].

من اللّطائف في قوله ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾.

- سُمّي القرض قرضًا لأنّه يقطع من ماله شيئًا ليعطيه للمقترض، والمتصدِّق لمّا يقطع الصّدقة من ماله سمّيت صدقته قرضًا، فالقرض القطع، ولكنّ هذه التّسمية لحفظ قلوب الأحباب، حيث خاطبك في باب الصّدقة باسم القرض ولفظه.
- ويُقال قَبَضَ القلوب بإعراضه وبَسَطَها بإقباله.
- ويقال القبض لِما غلب القلوب من الخوف، والبسط لِما يغلب عليها من الرّجاء.
- ويقال القبض لقهره والبسط لِبرّه.
- ويقال القبض لِسرّه والبسط لكشْفِه.
- ويقال القبض للمريدين والبسط للمُرادين.
- ويقال القبض للمتسابقين والبسط للعارفين.
- ويقال يقبضك عنك ثمّ يبسطك به.
- ويقال القبض حقّه، والبسط حظّك.
- ويقال القبض لمن تولّى عن الحقّ، والبسط لمن تجلّى له الحقّ.
- ويقال يقبض إذا أَشْهَدَكَ فِعْلَكَ، ويبسط إذا أشهدك فضله.
- ويقال يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر الإيجاب.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٩٩٣، كتاب: الزكاة، باب: الحثّ على النفقة وتبشير المنفق.
(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٢٤، كتاب: الباء، باب: أبو هريرة، عن بلال رضي الله عنهما، الحديث حسن.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٥٦٩، كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: فضل عيادة المريض.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. إذا نزل الوباء ببلد لا يجوز الخروج فرارًا منه، بهذا ثبتت السنّة.

٢. وجوب ذكر النّعم وشكرها.

٣. وجوب القتال في سبيل الله إذا تعيّن.

٤. فضل الإنفاق في سبيل الله لنشر دين الله تعالى بين المسلمين وبين غير المسلمين.

٥. بيان الحكمة في تضييق الله على العبد رزقه وتوسيعه، وهو الابتلاء لأجل الصّبر والامتحان لأجل الشّكر، فيا لخيبة من لم يصبر عند التّضييق عليه، ولم يشكر عند التّوسعة له، نسأل الله تعالى الحفظ والعفو والعافية.

٦. وجوب الاعتقاد بالبعث وأنّه يكون بالرّوح والجسد.

٧. تعاطي الأسباب لا يردّ القضاء المبرم، ويجب عليك أن تتعاطى الأسباب وأن ترضى بالقضاء. عَن أَبِي هُرَيرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مَا لَمْ يَنْزِلِ القضاء، وَإِنَّ البَلاءَ والدّعاءَ لَيَلتَقِيانِ بينَ السَّماءِ والأَرضِ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَيَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

٨. عن ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قال: " أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ".[2]

٩. ويقال دلّت الآية على عِظَم رتبة الغَنِيّ حيث سأل منه القرض، ولكن رتبة الفقير في هذا أعظم لأنّه سأل لأَجْله القَرض، وقد يُسأل القرض من كلّ أحد ولكن لا يُسأل لأجل كلّ أحد. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»[1] أخذها لقوت عياله. أَبْصِرْ ممَّن اقترض ولأجل مَنْ اقترض.

١٠. ويقال القرض الحسن ما لا تتطلّع عليه لجزاء ولا تطلب بسببه العِوَض. ويقال القرض الحسن ألّا يُعطى على الغفلة، وإنّما يُعطى عن شهود. أي يُعطي وهو يشهد أو مستحضر أنّه يقرض الله تعالى ولا يقرض المخلوق.

١١. قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقبض الصّدقة من الأغنياء قبض قبوله، ويبسط عليهم بسط خَلَفِه.

١٢. ويقال القرض الحسن من العلماء إذا كان عند ظهر الغنيّ، ومن الأكابر إذا كان بشرط الإيثار يعطى ما لا بدّ منه.

١٣. ويقال يقبض الرّزق أي يُضَيّق، يبسط الرّزق أي يوسّع؛ يقبض على الفقراء ليمتحنَهم بالصّبر، ويبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشّكر.

١٤. ويقال يقبض تسلية للفقراء ليطالبهم حتّى لا يروا من الأغنياء، ويبسط لئلّا يتقلّدوا المِنَّةَ من الأغنياء.

---

(١) رواه البزّار في مسنده، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٨١٤٩، مسند: أبي حمزة أنس بن مالك، الحديث صحيح.

(٢) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن ابن الديلميّ، حديث رقم: ٧٢٧، كتاب: الورع والتوكّل، باب: ذكر الأخبار عمّا يجب على المرء من تسليم الأشياء إلى بارئه.

١٥.ويقال قال للأغنياء: إذا أنا قبضت الرّزق على الفقراء فلا تذروهم، وإذا أنا بسطت عليكم فلا تروا ذلك لفضيلة لكم.

تحديد غاية المسلم

نرى أنّ غايته تتسلسل وفق المراحل الثّلاث التّالية:

المرحلة الأولى: إنّ المسلم عندما يبحث بعقله- الذي هو أكرم منحة فيه- حتّى يعرف الله من دلائل الكون، إنّما يسعى لتكميل نفسه بالمعرفة، وكمال النّفس بالمعرفة من أعظم أنواع السّعادات. ومتى عرف الله، وعرف عظمته، وكمال صفاته، آمن بكلّ ما يأتيه من الله من علوم الغيب، وتجدّد عنده الشّوق لتحقيق الغاية الثّانية وهي ما في المرحلة الثّانية.

المرحلة الثّانية: السّعادة ببلوغ كمال الخلق الإنسانيّ، فيسرع المسلم- الذي اجتاز مرحلة البحث للمعرفة- بكلّ طاقاته لحمد الله والثّناء عليه بكمالاته، والثّناء: هو الاعتراف للعظيم بصفته. كما يسرع لشكر الله على نعمه بالعبادة، والشّكر: هو الاعتراف العمليّ للمنعم بإنعامه.

ومن ثمّ يذعن لأوامر الله ونواهيه طاعة له، لأنّه الخالق العظيم، والربّ القادر على كلّ شيء، العادل في أحكامه. وبذلك تتحدّد غايته من أنواع سلوكه الإسلاميّ، بغاية الغايات وهي ما في المرحلة الثّالثة.

المرحلة الثّالثة: السّعادة بابتغاء مرضاة الله تعالى في كلّ الأمور، وذلك من خلال التّعلّق والتّخلّق بأسماء الله الحسنى، وفي ابتغاء المسلم الحامد الشّاكر مرضاة الله تحقيق جميع صور السّعادة لنفسه في الدّنيا دار الابتلاء، وفي الآخرة دار الجزاء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى غاية تكميل النّفس وتحصيل السّعادة بالمعرفة، بآيات الحثّ على النّظر في آلاء الله وقراءة أسماء الله في المخلوقات، كما قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، وصرّح بأنّ من لم يكمّل نفسه بهذا الكمال العلميّ، باستخدام وسيلة النّظر الذي هو العقل، فهو وفاقد العقل سواء، صرّح بذلك في مثل قوله يصف الكافرين: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2]

كما أشار القرآن إلى غاية تكميل خلق الإنسان بتزكية نفسه، وبإبعادها عن خساسة الجحود والكنود، في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[3].

إحياء الموتى:

قصّة إماتة الألوف من بني إسرائيل حين أُمروا بقتال عدوّهم، فخرجوا من ديارهم فارّين من مقابلة العدوّ حذر الموت، ثمّ بعد هذه الإماتة الجماعيّة، أحياهم الله ليعلموا أنّ الفرار من القتال لا يحمي من الموت! وليعلموا أنّ البعث حقّ، لذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[4].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ٢٩١٦، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في درع النّبيّ ﷺ.
(٢) سورة العلق، الآية: ١. (٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩. (٤) سورة الشمس: الآية: ٩-١٠.

من أسماء الله الحسنى: القابض، الباسط:

شرح الأسماء:

- هو الذي يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة.
- قابض الرّزق، أي: مضيّقه، وباسطه أي: موسّعه.
- يقبض على الفقراء ليمتحنهم بالصبر، ويبسط الأغنياء ليطالبهم بالشكر.
- ويقبض الصّدقات من الأغنياء ويبسط الأرزاق للضعفاء، فيبسط الرّزق على الأغنياء حتّى لا يبقى فاقة، ويقبضه عن الفقراء حتّى لا يبقى طاقة. وقيل معناه أنّه يقبل الصّدقات عن الأغنياء ويقبل القرض الحسن.
- قابض القلوب، أي: موحشها، وباسطها أي: مبهجها، ومؤنسها.
- يقبض القلوب فيُضيّقها بما يكشف لها عن تعاليه وقهره وجلاله، ويبسطها بما يتقرب إليها من برّة ولطفه وجماله.
- ويقال قَبَضَ القلوب بإعراضه وبسَطَها بإقباله.
- ويقال القبض لقهره والبسط لِبِرِّهِ.
- ويقال القبض لمن تولّى عن الحقّ، والبسط لمن تجلّى له الحقّ.
- ويقال يقبض إذا أشهدَكَ فِعلَكَ، ويبسط إذا أشهدَكَ فضله.
- والقبض والبسط حالتان تتعاقبان على القلوب تعاقب اللّيل والنّهار، فإذا غلب حال الخوف كان مقبوضًا، وإذا غلب حال الرّجاء كان مبسوطًا.

التّعلّق بهذين الاسمين القابض، الباسط:

- بالقبض عمّا سواه، والبسط في كلّ شيء يرضاه. أي بالالتجاء إليه، في أن يقبض عنك ما لا يرضاه من متابعة حظوظك وهواك، ويبسطه فيما يرضاه ويقرّبك إلى رضاه.
- إنّ التّفاؤل والفرح من اسم الله تعالى الباسط والتّشاؤم والحزن من اسم الله تعالى القابض، وكذلك صلاة الاستخارة فإذا شُرح صدرك للأمر كان من اسم الله الباسط فتُقدّم على هذا الأمر، وإذا شعرت بقبضٍ فيكون من اسم الله القابض فتُقلعُ عن هذا الأمر، يقول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [1]
- لا يتعلّق قلبك بالأسباب ولكن تعلّق بالله تعالى القابض الباسط وحده، حيث أنّه يقبضك حتّى تلتجأ إليه ويبسطك حتّى يُعرّفك على جماله فلا تغفل عنه.
- يستعمله بالأدب في قبضه وبسطه ثمّ يُخرجه عنهما إلى شهوده ومعرفته، وأنّ الأدب في القبض هو الرّضا بقضاء الله والثّقة، وأنّ الخيرة فيما اختاره الله، والأدب في البسط هو ألّا يصيبك العُجب وأن تكون شاكرًا متذلّلًا منكسرًا.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- اقرض ربّك قرضًا حسنًا؛ فستحتاجه كثيرًا وقت الوفاء، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

في الأخلاق والآداب

التخلّق بهذين الاسمين القابض، الباسط:

القابض الباسط من العباد من أُلهِم بدائع الحكم وأُوتي جوامع الكَلِم، فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكّرهم من آلاء الله ﷻ ونعمائه، وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه.

التوجيهات:

- الأسباب لا تردّ القضاء؛ فلا بدّ من التّسليم للقضاء مع اتّخاذ الأسباب، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَاهُمۡ﴾

سُئل عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما: كيف تفقَّدَ سُليمان عليه السلام الهدهد من بين الطّير؟

قَالَ: «كَانَ الْهُدْهُدُ يَدُلُّ سُلَيْمَانَ عَلَى الْمَاءِ». فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ وَالْهُدْهُدُ يُنْصَبُ لَهُ الْفَخُّ يُلْقَى عَلَيْهِ التُّرَابُ؟ فَقَالَ: «أَهْنَكَ اللهُ بِهَنِّ أَبِيكَ أَوَ لَمْ يَكُنْ إِذَا جَاءَ الْقَضَاءُ ذَهَبَ الْبَصَرُ؟»[1]

سبحان من أعطى خلقه شيئًا من كلّ شيء واختصَّ نفسه بملكِ كلّ شيء!

مَلَك سليمان عليه السلام الأرض كلّها، وحكمَ الإنس والجنّ، وكلَّم الطّير والهوام، وكانت الرّيح تأتمر بأمره، هذا ما أعطاه الله إيّاه، ولكنّه أحوجه إلى الهدهد إذا أراد أن يستخرج الماء من باطن الأرض سأله عن مكانه، فسبحان من أحوجَ الخلقَ إلى الخلقَ، واستغنى سبحانه عن الجميع!

وسبحان من إذا أراد أن يقضيَ أمرًا على أحدٍ من خلقه، لم تنفع المخلوق لا قوّته ولا عمله! فهذا الهدهد الذي يرى الماء في باطن الأرض، يأتي مولود صغير وينصبُ له الفخّ، ويغطّيه بالتّراب، ويضع له دودةً يغريه بها، فيصطاده، يرى الماء من تحت التّراب، ولا يرى الفخّ، هذا لأنّه إذا وقع القدرُ عميَ البصرُ، وقضاء الله واقع لا محالة!

ثمّ إنَّ الهدهد كان في اليمن حين رأى بلقيس وقومها يسجدون للشّمس من دون الله، وسليمان عليه السلام كان في الشّام، والمسافة بين الشّام واليمن حوالي ألفيّ كيلومتر، قطعها الهدهد أربع مرّاتٍ في سبيل الله، المرّة الأولى حين ذهبَ مستطلعًا، والمرّة الثّانية حين عاد بالخبر إلى سليمان عليه السلام، والمرّة الثّالثة حين ذهبَ برسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس،

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن عكرمة، حديث رقم: ٣٥٢٥، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة النمل.

والمرّة الرّابعة حين عاد! ثمانية آلاف كيلومترٍ قطعها الهدهد في الدّعوة إلى الله، فهل سألنا أنفسنا ماذا قدّمنا نحن؟! كان لبلقيس عرش عظيم، وقصر منيف، وملك مهيب، وحضارة متطوّرة، شاهد الهدهد كلّ هذا بعينه، ولكنّه عندما عادَ إلى سليمان عليه السلام لم يخبره بهذه الحضارة الماديّة الزّائفة إلا في سياق الحديث، وكان في جوهر الحديث ممتعضًا كيف أنّ هؤلاء القوم يسجدون للشّمس من دون الله؟!

وترى الواحد منّا إذا سافر للسّياحة إلى دول الغرب، عاد مزدريًا قومه، ناظرًا بعين التّقديس إلى أصحاب الاختراعات، ناسيًا غافلًا أنّ الإيمان يأتي قبل كلّ شيء، وأنّ موقع الإنسان الحقيقيّ هو في قربه أو بعده عن الله!

الحكمة الرّابعة والستون: "من لم يشكر النّعمة فقد تعرّض لزوالها، ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها".[1]

الحكمة المائتان وثلاثون: "علم أنّك لا تقبل النّصح المجرد؛ فذوّقك من ذواقها ما يسهّل عليك وجود فراقها".[2]

في السّيرة والشّمائل

قصة أبي الدَّحداح رضي الله عنه:

حين نزلَ قولُ اللهُ تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]. سمعَهُ أبو الدَّحداح فجاءَ إلى رسولِ الله ﷺ وقالَ لهُ: يا رسول الله، إنّ الله تعالى يُريدُ منّا القرض؟ فأجاب رسولُ الله ﷺ: «نعم يا أبا الدَّحداح» فقال: أرني يدك يا رسولَ الله، فناولهُ ﷺ يدهُ فقال رضي الله عنه: إنّ لي حديقتين إحداهما بالسافلة وأُخرى بالعالية، والله لا أملكُ غيرَهما، جعلتُهُمَا قرضًا للهِ تعالى. فقال ﷺ: «اجعل إحداهما وأُترُكِ الأُخرى معيشةً لكَ ولعيالك» فقال رضي الله عنه: فأُشهدك يا رسولَ الله إنّي قد جعلتُ خيرَهما لله وهو حائِطٌ فيه سِتُ مئةِ نَخْلةٍ. قال ﷺ: «إذًا يُجزيك اللهُ بهِ الجنّة» فهرعَ أبو الدحداحِ إلى زوجتهِ وكانت مع صبيانِها في البُستان يأكلون من تَمرِ النَّخل فيها. فأخبرها ما حدَثَ فأقبلَتْ على ولَدِها تُخْرِجُ التَّمرَ من فَمِهِ وتقولُ لهُ: بخٍ بخٍ. لأنّ البُستان لم يعد ملكهم[4]. هذه نفوسُ الصّحابة كما ربّاها النَّبيّ ﷺ. حيثُ أعطى أبو الدحداح أكثر من نصف ماله لأنَّ اللهُ تعالى أنزل: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[5] وبهذا الخيرِ الوَفيرِ جادَتْ نفوسُهُم وذلك بما علّمهم إيّاهُ رسولُ الله ﷺ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: " يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ: «أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ» فَأَبَى وَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ بِعْنِي نَخْلَكَ بِحَائِطِي قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي فَجَعَلَهَا لَهُ. فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ» مِرَارًا فَأَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: قَدْ رَبِحَتَ الْبَيْعَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا." [6]

---

(١) ذكره ابن عجيبة في الحكم العطائيّة، ج١، ص١٧١.
(٢) ذكره ابن عجيبة في الحكم العطائيّة، ج٢، ص١٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.
(٤) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب، باب: في الترغيب في القرض، ١٨٣/٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.
(٦) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٢١٩٤، كتاب: البيوع، باب: وأمّا حديث إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، الحديث صحيح.

في السّلوك

الإشارة: ألم ترَ أيّها السّامع إلى الذين خرجوا من ديار عوائدهم وأوطان شهواتهم، وهم جماعة أهل التّجريد، القاصدين إلى صفاء التّوحيد، والغرق في بحر التّفريد، وذلك بدخول الخلوة، حذرًا من موت أرواحهم بالجهل والفَرَق، فاصطفاهم الله لحضرته، وجذبهم إلى مشاهدة ذاته، فقال لهم الله: موتوا عن حظوظكم، وغيبوا عن وجودكم، فلمّا ماتوا عن حظوظهم، وغابوا عن وجودهم، أحياهم الله بالعلم والمعرفة، ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث فتح لهم باب السّلوك، وهيّأهم لمعرفة ملك الملوك، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ حيث تجلّى لهم، وعرّفهم به، وهم لا يشعرون، إلا من فتح الله بصيرتهم، وقليل ما هم.

الإشارة: وجاهدوا نفوسكم في طريق الوصول إلى الله، وأديموا السّير إلى حضرة الله، فحضرة القدّوس محرّمة على أهل النّفوس.

دَعْ فُؤادي تَكْويهِ نارُ جَفائِكْ ... فَلَهيبُ الهَوى يَصوغُ السَّبائِكْ
يا مُنايَ لَوْلا النَّوى والتّنائي ... ما اسْتَلَذَّتْ عَيْنٌ بِطيبِ لِقائِكْ
صِلْني بِفَضْلٍ أو لا تَصِلْني عَدْلًا ... أُطْرِقَ الصَّبُّ رَهْبَةً لِقَضائِكْ
إذ جَميعُ الوُجودِ قَبْلَ بُروزٍ ... قَدْ سَرى فيهِ مُقْتَضى أسْمائِكْ
لَكِنَّ القَلْبَ لَمْ يَزَلْ في رَجاءٍ ... نَحْوَ نادي النَّدى ورَحْبِ فِرائِكْ
إنْ تَصِلْني فَذاكَ أقْصى مُرادي ... أو تَعِدْني فَأنْتَظِرْ لِوَفائِكْ
بَعْدَ بُعْدي عَسى تُوافي بِوَعْدي ... أحْيي قَلْبي بِنَظْرَةٍ في بَهائِكْ
جَنَّةُ القُرْبِ مِنْكَ أجْمَلُ مِنْ ... جَنَّةِ عَدْنٍ وَحورِها والأرائِكْ
رُمْتُ في الحُبِّ أنْ أموتَ شَهيدًا ... وضَريحي يَكونُ تَحْتَ فَنائِكْ
أو أنالَ الوِصالَ رغْمَ عَذولي ... وأذوقُ المُنَى بِكَأْسِ صَفائِكْ
وصَلاةٌ مِنَ الإلهِ لِطَهَ ... مع سَلامٍ من المُلا والمَلائِكْ

الإشارة: من هذا الذي يقطع قلبه عن حبّ الدّارين، ويرفع همّته عن الكونين، فإنّ الله ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ بأن يُمَلِّكَهُ الوجودَ بما فيه، «أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوّن، فإذا شهدت المكوّن كانت الأكوان معك»، ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ فيقبض الوجود تحت حكمك وهمّتك، إن رفعت همّتك عنه، ويبسط يدك بالتّصرف فيه، إن علقت همّتك بخالقه. أو يقبض القلوب بالفقد والوحشة، ويبسطها بالإيناس والبهجة. أو يقبض الأرواح بالوفاة، ويبسطها بالحياة. والقبض والبسط عند أهل التّصوف: حالتان تتعاقبان على القلوب تعاقب اللّيل والنّهار، فإذا غلب حال الخوف كان مقبوضًا، وإذا غلب حال الرّجاء كان مبسوطًا، وهذا حال السّائرين. أمّا الواصلون فقد اعتدل خوفهم ورجاؤهم، فلا يؤثّر فيهم قبض ولا بسط، لأنّهم مالكوا الأحوال.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

أَدْعِيَةٌ وَأَذْكارٌ لِلْوِقايَةِ مِنَ الأَمْراضِ ومِنْ كُلِّ وَباءٍ يُمْكِنُ أن يُصيبَ الإنْسانَ (تُكَرَّرُ صَباحًا ومَساءً)

وَكُنْ عَلى يَقينٍ تامٍّ أَنَّكَ إِنْ أخذت بالأَسْبابِ وامْتَثَلْت ما أَمَرَكَ اللهُ بِهِ فَلَنْ تُصابَ بِضَرَرٍ من مَرَضٍ أو وَباءٍ أو غَيْرِهِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى فَإِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ.

وَقَدْ أَمَرَنا اللهُ تَعالى في مِثْلِ هَذِهِ الأَحْوالِ بِأَرْبَعَةِ أُمورٍ:

١. الدُّعاءُ والتَضَرُّعُ إلى اللهِ تَعالى.

٢. شُكْرُ اللهِ تَعالى عَلى نِعَمِهِ والتَّفَكُّرِ بِها عَلى الدَّوامِ حَتّى تَشْعُرَ بالإمْتِنانِ للهِ تَعالى، خُروجُ حَمْدِكَ وَشُكْرِكَ مِن قَلْبِكَ مع الحُضُوْرِ، وأَنْ تَحْفَظَ قَلْبَكَ ولِسانَكَ مِنَ الاِعْتِراضِ عَلى قَضائِهِ وقَدَرِهِ سُبْحانَه وتَعالى، وأن لا تُرى إلَّا حامِدًا وشاكِرًا، فبالشُّكْرِ تَدومُ النِّعَمُ.

٣. الاسْتِغْفارُ والتَّوْبَةُ إلى الله تَعالى، وبِخاصَّةٍ مِنَ الذُّنوبِ الَّتي تُسَبِّبُ نُزولَ البَلاءِ. والتَّوْبَةُ تَكونُ بأَخْذِ خُطُواتٍ عَمَلِيَّةٍ للتَغْييرِ وللإِصْلاحِ وتَرْكِ المَعْصِيَةِ وعَدَمِ الرُّجوعِ إِلَيْها مَعَ النَّدَمِ عَلى ما بَدَرَ مِنْكَ سابِقًا.

٤. الإِكْثارُ مِنَ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ. (أَقَلُّهُ ثلاثمائة مَرَّة باليَوْمِ والأَفْضَلُ أَلْفُ مَرَّةٍ) بِصيغَةِ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وسَلِّمْ» أو «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدنا مُحَمَّد وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ».**

- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ، ولا يَنْفَعُ شَيْءٌ إلَّا بإذنِ اللهِ. تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ. ولا يَأْتي بالشِّفاءِ إلَّا اللهُ. ما شاءَ اللهُ لا يَصْرِفُ السّوءَ إلَّا اللهُ. حَسْبِيَ اللهُ الَّذي خَلَقَني فَهُوَ يَهْديني والَّذي هُوَ يُطْعِمُني ويَسْقين. وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفين. ونُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هو شِفاءٌ ورَحْمَةٌ للمُؤْمِنينَ. اللَّهُمَّ ارزُقْنا العافِيَةَ. لا تُفَرِّق بَيْنَنا وبَيْنَ العافِيَةِ. يا خالِقَ العافِيَةِ. بِرَحْمَتِكَ يا أَرحَمَ الرّاحِمين.
- يا أَرحَمَ الرّاحِمينَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ صَلِّ وسَلِّم عَلى مَن أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً للعالَمينَ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين، يا رَحْمَنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ ورَحيمَهُما ارْحَمْني وأَحِبَّتي رَحْمَةً تُغْنينا بها عَن رَحْمَةِ مَن سِواكَ.
- اللَّهُمَّ ما أصبَحَ/أَمْسى بي من نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنكَ وحدَكَ لا شريكَ لك، فلكَ الحمدُ ولكَ الشُّكرُ.
- اللَّهُمَّ عَرِّفْني نِعَمَكَ بِدَوامِها ولا تُعَرِّفْني نِعَمَكَ بِزَوالِها واجْعَلْني مِنَ القَليلِ الَّذينَ قُلْتَ فيهِم وقَليلٌ مِن عِبادِيَ الشَّكورُ.
- يا حَيُّ يا قَيّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغيثُ، أَصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ، ولا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ.
- اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّد طِبِّ القُلوبِ ودَوائِها، وعافِيَةِ الأَبْدانِ وشِفائِها، ونورِ الأَبْصارِ وضِيائِها، وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلِّم في كُلِّ لَمْحَةٍ ونَفَسٍ عَدَدَ خَلْقِكَ وَرِضى نَفْسِكَ وَزِنَةَ عَرْشِكَ ومِدادَ كَلِماتِكَ.
- اللَّهُمَّ يا أَوَّلَ الأَوَّلينَ، وَيا آخِرَ الآخِرينَ، وَيا ذا القُوَّةِ المَتينَ، وَيا راحِمَ المَساكينَ، وَيا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ احْفَظْني وأَحِبَّتي والمُسْلِمينَ من هَذا الوَباءِ ورُدَّنا إِلَيْكَ رَدًّا جَميلاً. اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعافِيَةَ والمُعافاةَ الدّائِمَةَ في الدّينِ والدُّنْيا والآخِرَةِ.
- يا اللهُ يا رَؤوفُ يا رَحيمُ بِسِرِّ قَوْلِكَ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وبِجاهِ نَبِيِّكَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مَنْ وصَفْتَهُ بِقَوْلِكَ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ اِرْأَفْ بِنا وبِوالِدينا وَوالِدِ والِدينا وبِكِبارِنا وبأَحِبَّتِنا وبالمُسْلِمينَ واصرِف عَنّا البَلايا

والأَمْراضَ والأَحْزانَ والخَوْفَ واملأْ قُلوبَنا بالإيمانِ واليَقينِ والشُّكْرِ والامْتِنانِ واجْعَلْ هَذِهِ المِحْنَةَ مِنْحَةً للمُسْلِمينَ واجْعَلَها سَبَبَ التَّعَرُّفِ عَلى نِعَمِكَ والثِّقَةَ بِكَ والاعْتِمادَ عَلَيْكَ وحْدَكَ، وتَطهيرًا للقُلوبِ من تَعَلُّقِها بِغَيْرِكَ، كُلُّ ذلِكَ بِيُسْرٍ ولُطْفٍ وعافِيَةٍ.

- يا اللهُ يا مُؤْمِنُ يا أمانَ الخائِفينَ ويا رجاءَ السّائِلينَ نَسْأَلُكَ الأَمانَ الأَمانَ في الدُّنْيا والدّينِ بِجاهِ مَنْ جَعَلْتَ الصَّلاةَ والسَّلامَ عَلَيْهِ أمانًا للعالَمينَ، صَلّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَيْهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَبَدَ الآبِدينَ ودَهْرَ الدّاهِرينَ.
- يا عَظيمُ يا عَظيمُ أنتَ إلهي لا إلَهَ غَيْرُكَ، اغْفِرْ لي الذّنبَ العَظيمَ فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذَّنْبَ العَظيمَ إلَّا العَظيمُ.
- اللَّهُمَّ إنّي أَسْتَغْفِرُكَ وأتوبُ إلَيكَ من جَميعِ الذُّنوب والخَطايا ومن كُلِّ ذَنْبٍ يُنْزِلُ البَلاءَ ويُذْهِبُ النِّعَمَ، اللَّهُمَّ إنّي أَسْتَغْفِرُكَ وأتوبُ إليكَ من عُقوقِ الوالِدَيْنِ ومن قَطيعَةِ الأرحامِ ومن إشاعَةِ الفاحِشَةِ ومن إنقاصِ المِكْيالِ والميزانِ ومِنَ الغِشِّ وأكلِ حُقوقِ العِبادِ ومن تَقْصيري في صَلاتي ومِن تَقْصيري في إخْراجِ زَكاتي عَلى النَّحْوِ الَّذي أَمَرْتَني، ومِنْ شَماتَتي وتَعْييبي عَلى مَنِ ابْتَلَيْتَهُم مِنْ عِبادِكَ ومن تَكَبُّري ومن حِقْدي ومِن حَسَدي، ومِنْ تَقْصيري في شُكْرِ نِعَمِكَ ومِن اعْتِراضي عَلى قَضائِكَ وقَدَرِكَ وقِسْمَتِكَ، يا غَفورُ اغْفِرْ لي، يا تَوّابُ تُبْ عَلَيَّ.
- اللَّهُمَّ إنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُنُونِ، وَالجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ.
- بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيْءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهُوَ السَّميعُ العَليمُ. (٣ مرّات)
- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٧ مرّات)
- أَسْأَلُ اللهَ العَظيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ أَنْ يَشْفِيَني. (٧ مرّات)
- أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التّامّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ. (٣ مرّات)
- قراءَةُ سورَةِ الإخْلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ.(٣ مرّات)
- قراءة آية الكرسي (٤ مرّات)
- تَحَصَّنْتُ بِذي العِزَّةِ والجَبَروتِ واعْتَصَمْتُ بِرَبِّ المَلَكوتِ وتَوَكَّلْتُ عَلى الحَيِّ الَّذي لا يَموتُ، اصْرِفْ عَنّي وعَن أَحِبَّتي الأَذى إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ. (٣ مرّات)
- اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّد بِقَدرِ حُبِّكَ فيهِ وزِدْني يا مَوْلايَ حُبًّا فيهِ وبِجاهِهِ عِنْدَكَ فَرِّجْ عَنّي وعَن أَحِبَّتي ما نَحْنُ فيهِ.
- اللَّهُمَّ قِنا واصْرِفْ عَنّا شَرَّ ما قَضَيْتَ واصْرِف عَنّا البَلاءَ والوَباءَ والأَمْراضَ وسَيِّءَ الأَسْقامِ واللُّطْفَ بِنا في قَضائِكَ وقَدَرِكَ
- لُطْفًا يَليقُ بِجودِكَ وكَرَمِكَ ورَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين.
- يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ فَرِّجْ عَنِ المُسْلِمينَ وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمين.

" ما أنزل اللهُ داءً إلَّا وَأَنْزَلَ له دواءً " والأخذ بالأسباب من صُلبِ الدِّيْنِ والوِقايَةُ خَيْرٌ مِنَ العِلاج.

دعاء للشفاء من مرض السّرطان وما شابهه

تكرّر الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾[1] ٣١٣ مرّة وفي كلّ مرّة تستحضر أنّ الخلايا الخبيثة تموت بإذن الله.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٤.